مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 02 (2023م) • ص ص 457 - 466
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

من أسرار ومعاني حروف الجر في القرآن الكريم
ـ نماذج مختارة ـ

From meanings and secrets of preposition in holy Quran. Selected models

هاجر بوعكاز *
مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي،
جامعة سكيكدة (الجزائر)
bouakkazhadjer1591@gmail.com

نسيمة ضاضي سيسطة
مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي،
جامعة سكيكدة (الجزائر)
n.dadisista@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/01 | تاريخ الاستلام: 2023/05/23 | تاريخ النشر: 2023/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يهدف هذا المقال إلى الوقوف على الأبعاد الدلالية والأسرار البلاغية لحروف الجر في الخطاب القرآني، من خلال تتبع معانيها في آيات مختلفة، واستعمالات متنوعة المقاصد والغايات، بدءا من الوظيفة النحوية، التي تتمثل في تعدية الفعل إلى مفعول به.

من أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، أن حروف الجر من أصغر البنى اللسانية في الخطاب القرآني المتعددة المعاني والأغراض والأبعاد، وكان الوقوف عند معانيها وطريقة توظيفها نقطة مميزة في بيان نظم وبلاغة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: حروف الجر؛ القرآن؛ البلاغة؛ النظم.

Abstract: This article aims to examine the semantic dimensions and the rhetorical secrets of prepositions in the Quranic discourse by tracing their meanings in different verses and uses various purposes starting from the grammatical function that is represented in transposing the verb into its object.

One of the most important results reached in this research is that the prepositions are one of the smallest linguistic structures in the Quranic discourse with multiple meanings, purposes and dimensions and stopping at their meanings and the way they are used is a distinctive point in the statement of the systems and rhetoric of the holy Quran.

Keyword: prepositions; Quran; rhetoric; semantic dimensions.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

تلعب الأدوات اللغوية على تنوعها واختلافها دور الربط والتنسيق بين وحدات النص الصغرى والكبرى، وهي المعول عليها في انسجامه وتكامله الهندسي والدلالي، فلا يمكن لأي خطاب على اختلاف جنسه ونوعه نثرا أو شعرا، مكتوبا كان أو شفويا أن يستغني عنها، ونجد من بين هده الروابط "حروف الجر"، والتي هي من الحروف العاملة، أي أن لها تأثير على البنية التي ترد بعدها، فتعمل فيها بالجر، وهي على أنواع وأقسام يختص بعضها بالظاهر والبعض بالمضمر، ومنها ما لفظه مشترك بين الحرفية والاسمية، ومنها ما لفظه مشترك بين الحرفية والفعلية.

ولأن البحث في معاني حروف الجر في النص القرآني له ميزة خاصة، مستمدة من لغته وقدسيته وعلوه، حاولنا البحث في عينة من عينات بلاغته ووجوه نظمه البليغة، انطلاقا من وحداته الصغرى التي تشكله ممثلة في "حروف الجر"، لتكون إشكالية هدا البحث كما يلي:

كيف تساهم حروف الجر في نظم الخطاب القرآني وبيان إعجازه؟ وما الغاية من تعدد معنى الحرف الواحد من أصلي إلى فرعي في نسق الآيات الكريمة؟

تنطلق فرضية البحث من أن حروف الجر لا تؤدي وظيفة أحادية في النص القرآني، فإضافة إلى الوظيفة النحوية، فإن لها وظيفة أكثر خصوصية متعلقة بالنظم والإعجاز القرآني، ومرتبطة أيضا بالكيفية التي يتبادل حرف الجر معناه مع مثيله من حروف الجر، ما يولد في النص أبعادا بلاغية، وأسرارا دلالية.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على الأبعاد الدلالية والأسرار البلاغية لحروف الجر في الخطاب القرآني، من خلال تتبع معانيها في آيات مختلفة، واستعمالات متنوعة المقاصد والغايات، بدءا من الوظيفة النحوية، التي تتمثل في تعدية الفعل إلى مفعول به؛ ومن ثمة الوصول إلى ميزة النظم البديع في القرآن الكريم، وقد قامت منهجيته على مقدمة تمثل المدخل الأساسي للبحث، ثم العنصر النظري أين عرفنا حروف الجر وذكرنا أنواعها وأقسامها، ثم انتقلنا إلى العنصر التطبيقي، وهو محل هده الدراسة، أين قمنا بدراسة معاني والأبعاد والأسرار الدلالية لسبعة حروف للجر هي على التوالي (من، وإلى، وفي، وعلى، واللام، التاء، والباء)، في آيات مختلفة، من سور مكية ومدنية.

2. ماهية حروف الجر

1.2. الحد والماهية:

حروف الجر أدوات وروابط لغوية بين الوحدات اللسانية الصغرى والكبرى، وهي متعددة المباني والمعاني، بعضها يتشكل من حرف واحد، وبعضها من حرفين، وبعضها من ثلاثة أحرف، وبعضها من أربعة أحرف كأقصى حد في بنيتها، وقد نظمها ابن مالك في بيتين من الشعر، يقول:

هاك حروف الجر وهي من إلى حتى خلا حاشا عدا في عن على

مذ منذ رب اللام كي وواو وتا والكاف والبا ولعل ومتى[1].

وعددها عشرين حرفا، وهي من العوامل اللفظية التي يؤدي دخولها على الاسم إلى تغيير في حركته الإعرابية، وبالتالي حكمه النحوي.

2.2. البناء النحوي:

تقسم إلى ثلاثة أقسام «أصلي وزائد وشبيه بالزائد، فالأصلي ما يحتاج إلى متعلق، وما لا يستغنى عنه معنى ولا إعرابا، والزائد وهو ما يستغني عنه إعرابا ولا يحتاج إلى متعلق، وهو ما لا يستغنى معنى، لأنه جيء به لتوكيد مضمون الكلام، الشبيه بالزائد ما لا يمكن الاستغناء عنه لفظا ولا معنى، غير أنه لا يحتاج إلى متعلق»[2]. وهذه الأقسام الثلاثة يكون ورودها في الخطاب ضمن المعاني المراد تأديتها.

2 . 3. من حيث الاختصاص:

فلحروف الجر ميزة الاختصاص «هناك ثلاثة أحرف للاستثناء، وهي خلا، وعدا، وحاشا، وأربعة عشر تنقسم قسمين: أحدهما تختص الظاهر والمضمر وهي من وإلى وعن وعلى وفي والباء واللام، وسبعة تختص بالظاهر وهي: حتى، والكاف، والواو، ومذ، ومنذ، ورب والتاء والباقي شاذ في استعماله»[3]. والشاذ هو الذي ليس له قاعدة محددة يخضع لها، ففي كل سياق كيف يأتي.

2 .4. من حيث البنية:

وهي على ثلاثة أنواع «الحروف المشتركة بين الحرفية والاسمية وهي خمسة، الكاف، وعن، وعلى، ومذ، ومنذ، والحروف المشتركة بين الحرف والفعلية وهي ثلاثة: خلا، وعدا، وحاشا، وهي أحرف استثناء، والحروف الملازمة للحرفية وهي بقية الحروف: في، وإلى، وحتى، ومن، والباء، واللام»[4].

3. من أسرار ومعاني حروف الجر في القرآن الكريم

1.3. حرف الجر من:

من حروف الجر التي تحمل العديد من المعاني منها «ابتداء الغاية، التبعيض، بيان الجنس، التعليل، البدل، الاستعلاء، موافقة الباء(...)»[5]. وكل من هذه المعاني يحددها سياق الخطاب الذي وردت فيه.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ

1. ابن مالك الأندلسي: شرح المكودي على ألفية ابن مالك، المكودي، ص 08.
2. إيمان بقاعي: معجم الحروف، ص 07.
3 . مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ص 125.
4. ابن عقيل: تسهيل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص 270.
5. المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 36. 38.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر 22].

جاء حرف الجر "من" في هذا النسق بمعنى حرف الجر "عن"، أي: "فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله"، النظر في كتب التفاسير اللغوية بصفة خاصة، يجد أن هذه الآية الحاملة لحرف الجر "من" أن الاختلاف وقع في معناه، ومنه اختلاف في معنى الآية الكريمة، جاء في تفسير الزمخشري: «من ذكر الله من أجل ذكره، أي: إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة، (...)، وقرئ عن ذكر الله، فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا؟ قلت: قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه، وإذا قلت: عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه»[1]. والزمخشري يميل إلى المعنى الأول، ونجد الطاهر ن عاشور في الاستعمال اللغوي لهذا الحرف يقول : «من ذكر الله يجوز أن تكون بمعنى (عن) بتضمين القاسية معنى المعرضة والنافرة، وقد عد مرادف معنى (عن) من معاني من»[2]. وقد أقر ابن هشام الأنصاري بهذا المعنى، أي مرادفة عن «مرادفة عن»[3]. وقد فرق بين التوظيف، فالأول أي استعمال من، يكون بسماع الذكر ثم القساوة، والثاني أي استعمال عن، يكون انصرافا ورفضا وبالتالي قساوة القلب.

ومن أسرار استعمال حرف الجر "من" دون" استعمال "عن" في هذا الموضع، إذ أن معناه الأصلي هو ابتداء الغاية، فكشف الحرف عن شدة القساوة التي في صدور بعض الخلق بمجرد البدء في ذكره سبحانه وتعالى، «ومعنى الابتداء في الآية الثانية، أي قست قلوبهم ابتداء من سماع ذكر الله»[4]. بخلاف عن التي قد يحتمل أنهم لبثوا في السمع قليلا ثم انصرفوا عنه.

قال تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء 77].

جاءت حرف الجر عاملا في البنية التي بعده "القوم" فوردت مجرورة، وقد جاء في هذا النسق بمعنى "على"، أي "ونصرناه على القوم الذين كذبوا بآياتنا"، فلذلك من الأسئلة المشروعة التي تدور في ذهن المتدبر عن سبب وسر استعمال الحرف "من" دون الحرف "على"؟

جاء في تفسير التحرير والتنوير «وعدي نصرناه بالحرف "من" لتضمينه معنى المنع والحماية، وهو أبلغ في تأديته ب (على)، لأنه يدل على نصر قوي، تحصل به المنعة والحماية فلا يناله العدو بشيء، وأما نصره عليه فلا يدل إلا على المرافقة والمعونة»[5]. وفي هذا النظم آية أخرى من بلاغة الخطاب القرآني، وأن كل صوت وحرف وبنية كلامية، موضوعة بدقة لتتناسب البنى في تأليفها، وتؤتي دلالة

1. الزمخشري: الكشاف، ج 05، ص 209.
2. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنور، ج 23، ص 376 .
3. ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 01، ص 356.
4. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 23، ص 382.
5. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 23، ص 113.

معينة، ينفرد بها الخطاب القرآني، فحرف الجر لم يأت لغرض نحوي فقط، وإنما من أجل أداء دلالة على دلالة أخرى أيضا.

2.3. حرف الجر إلى:

ولحرف الجر إلى معاني متعددة، منها «حرف جر له ثمانية معاني: أحدهم: انتهاء الغاية الزمانية والمكانية، المعية، التبيين، مرادفة اللام، موافقة في، الابتداء، موافقة عند، التوكيد»[1].

جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات 99].

جاء حرف الجر "إلى" هنا مرادفا ""للام" الذي يفيد معنى الاختصاص، أي "ذاهب لربي سيهدين"، فالهداية مخصوصة بالله سبحانه وتعالى وحده، إلا أن نسق البنى الكلامية ربطت بينها حرف الجر "إلى"، فماذا حمل من دلالة خالفت "اللام"؟ وما السر والبلاغة من توظيفها؟

جاء في تفسير التحرير والتنوير «وهذه أول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله»[2]. وإنما ذكرنا معنى انتهاء الغاية في الزمان والمكان في هذه الآية والمناسبة، لاحتواء الحرف "إلى" دلالة ممتدة فيهما، ومقاصد توجيهية لم تكن آنية ظرفية معينة، أي مع نبي الله إبراهيم عليه السلام فقط، بل لازمتها الديمومة والاستمرار، وذلك من خلال ما يلي:

- أن الذهاب إلى الله يكون روحيا وقلبيا.
- رسالة إلى كل عبد أن الملجأ والغاية كلها هي الله مكانا وزمانا.
- أن كل إنسان يشترك مع أخيه الإنسان في المقصد والغاية، أما المقصد فهو الله، وأما الغاية فهي الهداية.

ومما زاد في وضوح هذه الأبعاد ارتباط الفعل يهدي بالسين المستقبلية، وعليه فحرف الجر "إلى"، جاء في وظيفة نحوية بأبعاد دلالية عميقة، ولو وظف حرف محلها لقصر المعنى، ونقصت الدلالة.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾. [آل عمران 43].

جاءت "إلى" بمعنى "اللام" أي، "من أنباء الغيب نوحيه لك"، فقد خص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الوحي «وفي هذا دليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أخبر بغيوب لم يطلع عليها إلا من شاهدها، أو من قرأها في الكتب السابقة، أو من أوحى الله إليه، وقد انتفى العيان والقراءة فتعين الثالث وهو الوحي من الله تعالى»[3]. وإنما استعملت الحرف "إلى" دون اللام لأن الغاية منها هو

1. ابن هشام الانصاري: مغني اللبيب، ج 01، ص 79.
2. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 23، ص 146.
3. أبو حيان الأندلسي: تفسير المحيط، ج 02، ص 472.

الإخبار عنها وتوصيلها إلى قومه، ليتعظ ويتعلم منها، فالمقصد منها هو استمرارها في الزمان.

3.3. حرف الجر في:

«حرف جر وله تسعة معان، الأول الظرفية، المصاحبة، التعليل، المقايسة، أن تكون بمعنى على، تكون بمعنى الباء، أن تكون بمعنى على...»[1].

قال تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه 71].

جاءت حرف "في" هنا بمعنى "على"، أي: "ولأصلبنكم على جذوع النخل"، وهي من المعاني التي يمكن أن ترد عليه، ويعول على السياق في فهم المعنى، وإنما جاء الحرف في بدلا من "على" ليكشف عن البعد النفسي لقائل الخطاب وهو "فرعون"، «والتصليب مبالغة في الصلب، والصلب ربط الجسم على عود منتصب، أو دقه عليه بمسامير (...) ولذلك عدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيها لشدة تمكن المصلوب من الجذع بتمكن الشيء الواقع في وعائه (...) وتعدية فعل لأصلبنكم بحرف (في) مع أن الصلب يكون فوق الجذع لا داخله ليدل على أنه صلب متمكن يشبه حصول الظرف في المظروف»[2]. فدل حرف الجر كبنية لغوية صغيرة على أسرار خفية، فخطاب فرعون يكشف في كثير من الآيات عن نفسه الخبيثة، وحقده وغله لموسى وأتباعه، وجبروته وطغيانه وفساده في الأرض. إن طغيان معنى حرف على آخر، بعث للقراءة المتأنية الكاشفة عن الأسرار والخبايا «فكم زلت في سبيلها أقدام راسخة، واحتجبت بأسرارها عن عيون متأملة فاحصة»[3].

وهو المعنى نفسه نجده للحر "في" الذي حمل معنى "على" في سورة الفتح في قوله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح 29]، حيث دلت على الاستعلاء، لكن استعمل الحرف "في" لتمكنه من الدلالة، تعبيرا عن هده الفئة، كالجبهة وقد تمكن فيها الأثر.

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل 127].

ضمت الآية الكريمة حرف الج "في" والذي أفاد الظرفية مجازا «والظرفية في ضيق مجازية، أي لا يلابسك ضيق ملابسة الظرف للحال فيه»[4]. وهو توظيف يستخرج منها بعض المقاصد التوجيهية،

1. المرادي: الجنى الداني، ص 251.
2 . الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 16، ص 265.
3. محمد الأمين الحضري: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص 10.
4. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص 337.

للرسول صلى الله عليه وسلم، نذكر منها:

- تثبيته ومواساته
- احتواء المشاعر السلبية وعدم إظهارها، تقوية لمن حوله من المؤمنين.
- الأوامر ممتدة في الزمن من خلال اقتران البنى اللسانية بالزمن المستقبلي.

3. 4 حرف الجر على:

«ولها ثمانية معاني، الاستعلاء، المصاحبة، المجاوزة، التعليل، الظرفية، موافقة الباء، موافقة من...»[1].

قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف 105].

جاءت على هنا موافقة "للباء"، أي "حقيق بي" «أن على هنا بمعنى الباء وان حقيق فعيل بمعنى مفعول، أي محقوق بان لا أقول على الله إلا الحق، أي: مجعول قول الحق حقا علي»[2]. ولأن حرف الجر "على" أصل معانيها الاستعلاء، فإنها هنا عملت على توسيع الدلالة، وتقريبها للأذهان، من خلال انسجامها مع علو الخطاب الإلاهي على لسان موسى عليه السلام، لان استعمالها من قبله هو تصريح منه أن الأوامر الإلاهية هي أوامر عليا، لا يعادلها قول ولا حق.

وجاء في قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ [المطففين 01، 02].

جاء حرف الجر هنا عاملا "على" عاملا في اللفظة "الناس" وبها عدي، وقد جاءت بمعنى "من"، أي: "إذا اكتالوا من الناس يستوفون" «وحق فعل اكتال أن يتعدى إلى مفعول واحد هو المكيل، فيقال: اكتال فلان طعاما، ويعدى إلى ما زاد على المفعول بحرف الجر مثل (من) الابتدائية فيقال: اكتال طعاما من فلان، وإنما عدي في الآية بحرف (على) لتضمين "اكتالوا" معنى التحامل، أي إلقاء المشقة على الغير وظلمه»[3]. إضافة إلى هذا التحامل، فإن "على" وجهت المقصد الدلالي إلى مقصد نفسي، فالبائع المطفف يرى علوا في نفسه ودرجته، وعلوا في دنياه دون آخرته الساهي عنها، كما يتحصل في الأذهان المشهد المادي للميزان، حيث تعلو كفة على أخرى، وتكون الكفة العليا كفة اثم وباطل وفساد وويل.

3. 5. حرف الجر اللام:

«اللام الجارة ولها معان كثيرة، الأول الاختصاص، الاستحقاق، الملك، التمليك، التعليل، القسم، أن تكون بمعنى في، أن تكون بمعنى عن، أن تكون بمعنى على»[4].

1. المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 476، 477.
2. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ، ج 09، ص 38.
3. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 30، ص191.
4. المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 95.

قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء 109].

عملت اللام في البنية التي بعدها "الأذقان" في نسق لساني يتشكل من فعل مضارع رمز الاستمرار والتجدد، وقد جاءت اللام بمعنى "على"، أي "يخرون على الأذقان سجدا"، جاء في تفسير "الزمخشري": «فإن قلت ما معنى الخرور للذقن؟ قلت: السقوط على الوجه، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين، لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن، فإن قلت حرف الاستعلاء ظهر المعنى إذا قلت: خر على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خر لنفسه ولوجهه؟ قلت معناه جعل ذقنه للخرور واختصه به، لأن اللام للاختصاص»[1]. وقد استعمل حرف الجر "اللام" باستعمال "على" الاستعلائية للدلالة على مزيد من التمكن في الخرور، وهكذا هي حروف الجر تتبادل وتستعير معاني بعضها البعض، وما يصلح للتعبير في سياق لا يصلح في سياق آخر، فالخطاب يشكل ويتم له المعنى النحوي، لكن القصد الدلالي يقصر وينتفى إن رعي الجانب التركيبي دون الدلالي، وكل هذا راجع لقصد قائل الخطاب، وفي تبادل الدور حروف الجر بعضها ببعض، وجدنا لهذا الحرف ورود آخر بمعنى حرف الجر "في" في سياق قرآني آخر الفجر: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر 24]. أي يا ليتني قدمت في حياتي.

3. 6. حرف الجر التاء:

«من العوامل، إلا أنها لا تعمل إلا في اسم الله تعالى في القسم نحو: تالله لأخرجن، وفيها معنى التعجب»[2].

قال تعالى ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف 85].

والأصل في القسم استعمال الحرفين (الواو، والباء)، والتاء نادرا القسم بها « التاء حرف قسم، وهي عوض عن واو القسم»[3]. استعمال التاء بدل الواو ناسب حالة التعجب من حال يعقوب عليه السلام وهو يذكر يوسف لا يتوقف، هذه من جهة، أما ما يلاحظ في بنية "التاء" وكيف تشكلت مع بقية البنى اللسانية (تفتؤ، تذكر، حتى، تكون) هو الآخر يعاضد حرف الجر في اتمام الدلالة النفسية لنبي الله، لأنه كان الصوت الأكثر نتوءا وبروزا في السمع، وهو يحمل دلالة «الرقة والضعف»[4]. وهو في حالة من الضعف بعد الفقد المرير لسنوات طويلة.

وهذا المعنى التعجبي يظهر في سياق آخر في آية أخرى، في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ

1. الزمخشري: الكشاف، ج 03، ص 559، 560.
2. المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 41.
3. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص 43.
4. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 101.

نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل 56]. فقد أدى حرف الجر "التاء" دوره النحوي وكان العامل في جر البنية التي بعده، وقد كان القسم به يحمل تعجبا بقدر الجرم المسؤول عنه.

3. 7 حرف الجر الباء:

«وهي من العوامل، وعملها الجر، وهي مكسورة، وإنما كسرت لتكون على حركة معمولها»[1]. فعملها في الاسم بجره، وهي ترد على معان متعددة منها «الإلصاق حقيق ومجازي، الثاني التعدية، الثالث الاستعانة، الرابع التعليل...»[2]. وكل من هذه المعاني يحددها باث الخطاب.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف 123].

وقد جاءت "الباء" في هذه الآية بمعناها الأصلي، أي الإلصاق إلصاق سحرة فرعون بموسى عليه السلام، بعدما كانوا معه، «والضمير المجرور عائد على موسى، أي آمنتم بما قاله، أو إلى رب موسى»[3].

تختلف المعاني التي تؤديها الحروف من نسق إلى آخر ، وقد جاء حرف الجر "الباء" دون غيره ليفيد معنى الإلصاق، وتدبر الآية يفضي إلى أبعاد خفية وأسرار عميقة للمشهد النفسي للطاغية فرعون، المرتبك غير المستقر، المنصرف إلى أفكار ذاتية عميقة تظهر خوفه على ملكه الذي يهدده موسى عليه السلام وربه، وهذا المشهد الصراعي الداخلي توزع بين حرفين "الباء واللام" وبين سورتين، هذه الآية، وآية سورة طه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه 71] . فبين المرئي (عصا موسى وسجود السحرة)، وبين الغيبي (إله موسى عليه السلام) تجلت الحقيقة النفسية لفرعون بين التشتت والخوف والتفكير في ملكه، وقوة خصمه، فإذا كانت الباء في سورة الأعراف عائدة على الله سبحانه وتعالى، فإن اللام عائدة على موسى عليه السلام، «ءامنتم له، واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى»[4]. فلقد ناسب "الباء" سياق الآية الأولى فالسحرة آمنوا بما جاء به موسى عليه السلام من ربه، فأفادت معنى الالصاق، الصاق إلصاق السحرة بخطاب موسى عليه السلام وتأثرهم بما جاء به، أما اللام فقد أفاد معنى الاختصاص، أي خص موسى بالملك، وصار السحرة تبعا وعونا له وهو خطاب بثه الطاغية فرعون.

- خلاصة:

بعد التدبر المتأني في الآيات الكريمة، وفي أصغر البنى اللسانية التي تعمل على اتساق النصوص والخطابات وانسجامها، تبين أن حروف الجر ليست أحادية الوظيفة، أي العمل في المعمول بكسره، أو

1 . الرماني: كتاب معاني الحروف، ص 36

2. المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 36، 38

3. محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 09، ص 53.

4. الزمخشري: الكشاف، ج 04، ص 97.

تعدية الفعل إلى مفعول به، فلها وظيفة بلاغية عجيبة وإعجازية في النص القرآني؛ فجاءت وفق نظم رباني حمل الكثير من الأسرار في توظيفها؛ بأخذ مواقع بعضها البعض حين يظن أن هذا موقع يصلح له حرف دون آخر، ومن ثمة يبدأ السؤال يحرك الأذهان فتكون النتيجة؛ أنه نظم عجيب موغل في البيان والإعجاز.

4. خاتمة

الخطاب القرآني خطاب لكل فرد في كل زمان ومكان، من خلال هذه التراكيب اللغوية التي تتسم بالإعجاز الرباني، نظما وتركيبا، ويمكن إجمال النتائج المتوصل إليها في النقاط الأتية:

- حروف الجر من العوامل التي تعمل على تعدية الفعل إلى مفعول به.
- حروف الجر متعددة المعاني، متنوعة الاستعمال، بين معاني أصلية، ومعاني فرعية.
- تتبادل حروف الجر وتستعير معاني بعضها البعض، فيوظف الحرف بمعاني حروف أخرى.
- لا يمكن التسوية بين حروف الجر في صنع الدلالة، فكل حرف له معنى ووظيفة خاصة، وتوظيفه في نسق دون آخر هم من باب الأسرار الخفية المميزة في لغة القرآن، نظما فإعجازا.

وعليه كباحثين في الدرس اللغوي، نقترح المزيد من البحث في لغة القرآن، لأنه نص صالح لكل زمان ومكان، ومعانيه متجددة غير جامدة، يعني يحصل الكشف عن مسائل إعجازية من لغته لم تقلها كتب الأوائل الذين عاشوا عصرا غير عصرنا، واغترفنا من علوم غير علومهم.

5. قائمة المراجع

- الأندلسي ، ابن مالك، (دت)، ***شرح المكودي على ألفية ابن مالك***، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر.
- الأندلسي، أبو حيان(1993م)، ***تفسير المحيط***، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الأنصاري، ابن هشام، (1964م)، ***مغني اللبيب عن كتب الأعاريب***، دمشق، دار الفكر.
- بقاعي، إيمان، (2003م)، ***معجم الحروف***، ليبيا، دار أوبا للطباعة والنشر والتوزي
- الحضري، محمد الأمين، (1989م)، ***من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم***، القاهرة، مكتبة وهبة
- الرماني، علي،(1981م)، ***كتاب معاني الحروف***، السعودية، دار الشروق للنشر والتوزيع
- الزمخشري، محمود، (1992م)، ***الكشاف***، الرياض ،مكتبة العبيكان.
- بن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، ***تفسير التحرير والتنور***، تونس، الدار التونسية
- عباس، حسن، (1998م)، ***خصائص الحروف العربية ومعانيها***، دمشق، اتحاد كتاب العرب.
- ابن عقيل، عبد الله، (2003م)، ***تسهيل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك***، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر.
- الغلاييني ، مصطفى، (2004م)،***جامع الدروس العربية***، لبنان، دار الكتب العلمية.
- المرادي، الحسن، (1992م)، ***الجنى الداني في حروف المعاني***، لبنان، دار الكتب العلمية.